بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى
ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

[البَقَــرَة: ١٩٥]

أبو عبد الله المنصور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إلى مشايخنا الكرام، وإلى أغنياء المسلمين... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تريدون منَّا أن نطلب بأنفسنا؟ نطلب المال والعون منكم؟ تريدون أن نذل؟ أن نتودد؟ أن نتمسكن؟ أن نتسول؟

نعم والله نفعلها لله، ونفعل أكثر من ذلك مادام في ذلك تقرب لله، متشرفين باقتدائنا برسول الله ﷺ، في حضِّه - بل سؤاله - المال للجهاد مِن على منبره، وفي حلقته، في سوقه في كل مكان ...

نتودد! نعم واللهِ ونتمسكن!

فكم ذمَّ النبي ﷺ تَمسكنَ مَن يسأل الناس، ولكن كم

شرَّف الله هذا النوع من السؤال حين ذكر قصته تشريفًا لهؤلاء السائلين خاصة فقال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

وإننا لنقرأ هذه الآية فنرى فيها تشجيعًا لنا على هذا النوع من السؤال، وحضًّا على الاقتداء بهؤلاء الأشراف... فنعم السؤال سؤالهم، ونعم الشاهد دمعهم، ونعم السائلون مَن يسأل مِن أجلهم.

وكما قرأنا الآية من واقعنا نرجو منكم قراءتها من الواقع الذي نزلت فيه، لا أقول من واقعنا ـ وإن كان واللهِ ليستحق ـ فحين قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، اعتذر الله لنبيه ﷺ بذكر اعتذاره في القرآن بقوله: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أيْ وصدقت في اعتذارك بغير شك، ولكنْ ماذا سيقول من وجد ما يحملنا عليه، ونحن نتوسل ونبكي أن يحملنا ويحمل إخواننا ولا يحملنا؟ إنه بين أمرين مُرَّين؛ إمَّا أن يقول: لا أجد، فهو عند الله من الكاذبين، وحاشاكم، وإمَّا أن يغلبه شحه ولا يحملنا، فيكون من الخوالف!

هنيئًا لمن اقتدى برسول الله ﷺ في صدقه حين لم يجد، وهنيئاً لمن اقتدى به في موقفه لمَّا وجد، وبحضِّه وإرساله لفلان وفلان ممن وجدوا، ما أعظمهم من رجال يجودون بأرواحهم، ويبكون لأنهم لا يجدون مَن يعينهم على الجود بها والشهادة! يقابلهم رجال يُسألون المال للجهاد فيشحون.

أيُّ رأس مال يغلى إذا جاءك مَن يجود برأسه وعمره وروحه في الحق؟

نعم والله نتودد، نريد الحملان لأرواحنا حتى تعلو وتعلو إلى عرش الرحمن، حيث حواصل الطير الخُضر المعلقة في أشجار الجنة، تَرِدُ أنهارها، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في عرش الرحمن، ولكم بعد الله الفضل...

نريد الحملان لأحبابنا الذين أصبحوا طوابيرَ انتظار، يصخُّ صراخهم آذاننا: احملنا... احملنا... احملنا، وفي كل مرة أقول: ما عندي ما أحملكم عليه! فتفيض دموعهم حزنًا! فأَخْلوا بنفسي، وألتفت يمينًا وشمالاً فأقول: أين عثمان الذي يحملهم؟ أين طلحة؟ أين ورثتهم؟ أين من

يبكي لبكاء البكائين؟ أين رجع صدى بكائهم؟ أين من يقرضنا؟ أين من يقرض الله لأجلهم؟

أين الجواب يا رجال الله؟

نتودد لكم! نعم واللهِ، بل نستصرخكم، ونستنصركم بكل ما تعني هذه الكلمة من مقتضياتها الشرعية، فاصنعوا ما شئتم بأمر عَلَّق الله وجوبه على استنصارنا: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فاللهم اشهد هذه ركائب كتائبك مذالة، وكثير من كتائب جندك معطلة تنتظر الإمداد من أهلها، ولا إمداد!

هؤلاء جندك يبكون غَيْرة وشجاعة وثورة ... حسرة على هذا الدين، كيف يُذبح وهم يتفرجون! مع أنهم يقدرون على الفتك بعدوك، لكنهم لا يملكون شيئًا!

اللهم اشهد أنَّ جذوة الجهاد آخذة في الخبوت شيئًا فشيئًا، وأنَّ صولة جندك آخذة في الخمود شيئًا فشيئًا، وأنَّ جند الشيطان يتمكنون شيئًا فشيئًا... اللهم وأنت تشهد أنَّ قلوبنا تحترق ولا نستطيع أن نفعل شيئًا، اللهم يا من لا تخفى عليه خافية، اغفر لإخواننا الذين بخلوا بالإنفاق علينا، وخافوا الإنفاق علينا، وخافوا حتى الحضَّ على

الإنفاق لنا، وتعزَّوا بالإنفاق على المستحقين ممن يريد الحياة لنفسه من فقراء ومساكين، على من يطلب الإنفاق ليموت لوجهك بائعًا الحياة!

اليوم ـ ومن هذا الواقع ـ عرفنا بعض حكمة الله في تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس.

اليوم نرى أثره كأثر الوقود للنار إذا بدأت تخبو، وإنَّ حال المجاهدين كحال الغصن الذي يذوي عطشًا وأهله يقطعون عنه الماء ... إنهم يقتلونه بأيديهم عالمين عامدين، وإن لم يباشروا قطعه بالسكين!

فما لنا نفهم أنَّ الجهاد فرض عين، فتذهب أفهامنا للخروج بالبدن فحسب، ولا نفهم أنَّ حكم الفرض العياني للجهاد يشمل المال والبدن؟ كيف! والأبدان المعاهدة ربها المنتظرة انقضاء نحبها في صفوف الانتظار، وعلى السواتر والخنادق والمكامن، بلا عتاد ولا إمداد ...

إنكم أيها المخاطَبون من مشايخنا وأكارمنا تعرفوننا جيدًا أننا لسنا من الغلاة، ولا ممن يستبيح قطرة دم مسلم، وأنَّ الجميع يشهد بطهارة أيدينا من هذا الجرم العظيم، رغم طول فترة الجهاد وكثرة إشكالاته، كما أنكم تعرفوننا

بأننا لسنا من أهل موالاة الكفار، ولا مجالس الصحوات النفاقية، ولم تتلطخ أيدينا بأيدي الكافرين أو أيدي عملائهم، إنما تقربت بغمسها فيهم، والحمد لله رب العالمين.

نتودد! نعم والله، نتودد وقلوبنا ـ واللهُ يشهد ـ لعظيم محبتنا لأمتنا مشفقة عليها بشكل عام، ألَّا يحق عليها وعد الله الذي أمر بتربصه أو وعده باستبدالها، فكيف بمحبتنا لأهل العلم وأهل الخير والعطاء من أبناء أمتنا؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؟

[التوبة: ٢٤].

وهنا أعود لأقول: اقرؤوا الآية من جديد، فإذا لم يكن الانشغال بالتجارة خشية كسادها عذراً عن الخروج بالبدن، عذراً عن ترك الجهاد، فكيف يكون الانشغال بذات التجارة وذات المال وتنميته عذرًا عن إنفاق المال؟

وإذا كان الله قد أمر بالخروج من الأموال طلبًا للجهاد بالبدن، فكيف بالخروج بالأموال مع سلامة البدن وبقائه؟

كيف ونحن نقول لكم ـ مشهدين الله تعالى على إعذارنا لكم ـ: ابقوا في أموالكم وأهليكم وأعطونا ما نسقط به الواجب عنكم، وندمر به عدوَّ الله، واقبضوا ثمرة ذلك بإذن الله سلامة في الدين والبدن والبلد، وأمنًا وأمانًا لأجيالكم القادمة بإذن الله ... فإن ذهبت الأموال ولم ترجع إليكم، فما أحسب ملء الأرض أعظم عند الله من روح شهيد واحد!

ثم إذا كانت خشية الكساد ليست بعذر، فكيف يكون الاستكثار عذرًا؟

إنَّ من يريد البقاء لحراسة ماله وحفظه عن الجهاد، كمن يُقدِّم حراسة المال على حراسة الدين.

إنَّ أقل ما يمكن أن يقال: أنفقوا وأنفقوا، فإنَّ الاعتذار مرة مع القدرة على الإنفاق وإن أنفقت قبلها مراراً، كالاعتذار مرة عن الخروج بالبدن مع القدرة، حتى وإن ذهبتَ مِن قبل مراراً.

يا إخواننا، لو قرأ القرآنَ أصحابُنا هؤلاء من واقع مَن نزل عليهم القرآن آنذاك، وجعلوا أنفسهم في موقع من يخاطبهم الله آنذاك بالإنفاق، وهم يبخلون أو يخافون أو

يجاملون... ثم أنصفوا في حكمهم، لم يجدوا لأنفسهم إلا وصف الخوالف ـ عافانا الله وإياكم ـ كما قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

فالتخلف كما يكون بالبدن يكون بالمال، ووصفُ الخوالف كما يصدق على هؤلاء يصدق على أولئك سواءً بسواء لقوله تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٧-٨٩].

فالرسول ﷺ، وصحبه الصادقون، جمعوا بين الجهادين: ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فهل يجوز أن نقصر وصف الخوالف على من ترك الخروج ببدنه، ونحن اليوم لا نحتاجهم؟ بينما يَسلمُ مِن هذا الوصف مَن ترك الخروج بماله أو بعض المال، وهو بالنسبة

لنا الضرورة القصوى! ونحن والله لا نهتم بإطلاق الأوصاف، بل نُحذِّر من التصنيف، لكن أيُّ مؤمن يعذر نفسه، والله سبحانه يربط موضوع الجهادين معًا بالإيمان ويردُّ كل إذن باعتذار؟ فيقول سبحانه: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

فالآية ربطت الجهادين معًا بحرف الواو، وعلَّقت الإيمان عليهما، وإني لا أكاد أرى آية أخطر على تاركي الإنفاق من هذه الآية.

هنا يأتي السؤال: إلى متى يستمر هذا التربص العسير والنذير الخطير المنذر بهول قادم في قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ [التوبة: ٢٤]؟.

فبالله عليكم يا أحبابنا لا تتهاونوا في توعد الله كما تهاون الهالكون فكانوا مثلَ السوء حتى جاءهم أمر الله: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

فاللهم قنا وقِ إخواننا شر ما قضيت.

أيها الكرام بالله عليكم أنقذوا أنفسكم . . . اقرؤوا القرآن من جديد . . . من واقعنا المستعر لا من واقعكم المسعور وراء الدنيا . . . اقرؤوا وستشفقون على أنفسكم لتناسيكم لنا وقطعكم الإمداد فعليًّا عنا في الفترة السابقة، وسيقول قائلكم ندمًا على التفريط: ربِّ هب لي وقتًا كي أعوِّض عن هذا التقصير العسير قبل أن ألقاك! وسيقول قائلكم: كم تمكَّن العدوُّ منذ لحظة غفلتي عن الجهاد تلك إلى هذه اللحظة؟ كم انحرف من هؤلاء الشباب الذين جاؤونا وانتظروا أن نحملهم فوعدناهم ووعدناهم، فلما يئسوا عادوا إلى الدنيا فوجدوا من يبطحها تحت أقدامهم، فأكلوا وشربوا وزادوا على الغَرْفة، ثم عادوا مروَّضين في العمالة، منخرطين في سلكها، منبطحين تحت أرجلها بعدما باعوها لله؟ فمن يتحمل تبعات ضلال هؤلاء؟ بل من يتحمل تبعات المبايعين القادمين إذا ضلوا أو نافقوا؟

أيها المشايخ الأكارم: ليأخذ من شاء هذا الإنذار بما شاء من الجدية، لكن من كُلِّف بالحراسة على الثغور يرى حركة لا يدركها إخوانه البعداء عن الثغور، فأنا والله نذير عريان لأهلي! فأي خير يُنتَظر إن لم يصدِّقني أهلي؟

ترى ما سبب قطيعتنا؟ أهو حبُّ المال؟ أم تصديق

الشيطان في تخويفه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾؟ لكن ما يمكن أن يأتي ولم تره أعينكم بعد، هو تصدير الردة و الكفر من عندنا إليكم، بل وتصدير الاحتلال الفعلي لكم! وقانا الله و إياكم كل سوء...

لا تتعزوا بمواعيد النصر العامة في الشريعة، تلك انتصارات لها أهلها، ولا ندري متى وقتها، ومن يدري؟ فلربما مرت الأمة في هذه الفترة بسبب هذا الخذلان، بما لم تكن تتصور من قبل أبدًا!

وما ذلك إلا من هذا الخذلان والشحِّ في المال تحديدًا على أهل الجهاد ...

نتودد إليكم! إيْ واللهِ، ونتمسكن ونتسول منكم عند أبوابكم، نصرة لدين الله وحبًّا فيكم ... فخشيتنا عليكم بلغت درجة من يرى شيخه وأخاه يسقط شرعًا، أو يكاد يسقط، وهو ينظر إليه! نبكي عليكم، بل نصرخ بأعلى ما نستطيع داخل صدورنا المشتعلة التي تكاد تتفطر لأجلكم...

إشفاق من يرى شيخه وأخاه يصل درجة لو فعلها

رجالٌ أيام رسول الله ﷺ لنزلت فيهم آيات تتوعدهم، وقد نزلت فعلاً!

رجال لو فعلوها لأغضبوا رسول الله ﷺ وأغضبوا الله في عليائه !

اقرؤوا القرآن وكأنكم معنا، واقرؤوا دعوتنا لكم بالإنفاق من خلال قول الله سبحانه لا قولنا: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمَّد: ٣٨].

اقرؤوا قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وتذكروا أنَّ مصطلح (في سبيل الله)، الأصل فيه أنه عائد إلى الجهاد، فالقضية هنا أوسع من الزكاة، وإلا فهل

يجوز لرجل أدَّى زكاة ماله أن يمتنع عن الإنفاق على الجهاد إذا كان ثمة حاجة لذلك؟

يا مشايخنا وأكارمنا، تذكروا أنَّ البعض يصرف عن نفسه كل هذا الوعيد المخوف من الله في هذه الأمة ويعيش آمنًا، بينما حال رسول الله ﷺ غير ذلك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبر من تمر فقال: (ما هذا يا بلال؟)، قال: أُعِدُّ ذلك لأضيافك. قال: (أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً)[1].

يخوِّف النبي ﷺ من تمر أُعدَّ للإنفاق على أضيافه، ورجال عندهم كنوز الذهب والفضة لا يخافون الصحائف الجهنمية في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقد أمسكوا خشية الإقلال على العيال، أو خوفاً من السلطان، وليتها من تمرات، ولكنها من ثروات وثروات!

أليس هذا كتاب الله؟ أليس هذا رسول الله ﷺ؟ أليس هؤلاء أعداء الله؟

(١) قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن والطبراني في الكبير. وقال الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب حديث (٩٢١).

ألستم تعلمون ـ يقينًا على وجه العموم ـ أننا جند الله، وهؤلاء جند الشيطان؟ فماذا بقي؟

هل من معادلة غيرها؟

تعزَّوا بما شئتم من الأعمال، ولكن اعلموا أنَّ الإسلام لا عزاء له اليوم! اعلموا أنَّ الجهاد لا بواكي له!

ولتعلم شيخي وأخي، أن ليس بينك وبين هذا الموعود الرباني الشديد إلا أن تخرج هذه الروح من هذا البدن على حين غَرَّة، فإذا بك أمام وعيد الله ووعيد رسوله ﷺ، فإذا به عين اليقين، وعندئذٍ تعرف تأويله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فليتذكر الإنسان منا آنذاك ما يشاء، أكان يكفيه أن ينظر إلى إرثه وتراثه فيحمد الله بلسانه؟ أو يقول: رب أكرمني؟

أكان يكفيه ذلك وهو لا يعيننا ولا يحضُّ على إعانتنا، وهو يعلم أنَّ كل الضرورات اجتمعت بنا، وكل صفات

الأصناف المستحقة تركزت فينا كما لم تتركز في أحد من أهل الأرض مثلنا؟

اقرؤوا القرآن من واقعنا وتأملوا في قوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا
تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾
كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا
﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ
ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ
أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾
ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾

[الفَجر: ١٧-٣٠].

نتودد! نعم والله، ونتذلل لكم ونتمسكن عند عتبات بيوتكم، لأنَّ عتبات السنة المحمدية قد تكسرت من شدة وطيء أقدام أنجاس مجوس الروافض وروافض المجوس، وأنَّ عتباتهم قد علت على عتبات حصون السنة، بل اخترقوا الحصون، وأنتم يا إخواننا تكتفون بمجابهةٍ خارج الميدان وباللسان! نعم إنَّ من الجهاد مجابهتهم بالحجة في الفضائيات والكتب والرسائل والدعوة الفردية والجماعية،

ونِعْمَ الأثر أثرها وبورك أهل هذا الثغر، ولكن ماذا نقول لله وهم يختطفون بلد الإسلام وحصنه فعليًّا؟ يعودون إليه اليوم انتقامًا، فقد كان هو البلد الذي أوصل لهم الإسلام، ومن بابه وعلى أكتاف أهله خاصة نُحِرت فيلتهم، وتكسرت حصونهم، وفرَّ كسراهم، وجاءت غنائمهم بين يدي الفاروق تسعى.

ماذا نقول وهم يقطعون البلد قطعًا رابطين مصيره ـ بل مصيركم أنتم ـ بمصير الاتفاق بين الآيات والحاخامات؟

يا إخواننا، إن كان من شيء يمكن أن يَرُدَّ عنكم ـ بعد الله ـ الزحف الصليبي غيرنا فخذوا به؟ إن كان من شيء يمكن أن يَرُدَّ عنكم النار المجوسية بحممها الحارقة الزاحفة نحوكم غيرنا فخذوا به؟ فأيُّ فرضٍ عيانيٍّ أكبر من هذا؟

اقرؤوا القرآن من جديد، فإنا والله لا نرى أحدًا أحق اليوم منكم من تأمل قول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البَقَرَة: ١٩٥].

قال القرطبي في تفسيره: قال حذيفة بن اليمان وابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد وجمهور الناس: المعنى ولا

تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة، يعني الفقر، فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه، وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره(١).اهـ.

فكيف إذا كان عنده ما ينفقه، ويترك الإنفاق حذرًا من عدو نحن نطلب المال لنواجهه بأرواحنا ؟

نتودد! بل نتسول، لأجل من باعوا أنفسهم لله يومًا من الأيام، فارقوا الزوجات إلى الأبد ... باعوا المال والولد ... خرجوا لا يلوون على شيء ... هتاف قلوبهم هتاف أنس بن النضر «واهًا لريح الجنة»، حيث اصطفاهم شهداء، وبقيت أراملهم وأيتامهم ضائعين في بلد الضياع بين أقران قد أخذوا من الدنيا بحظ وافر ... فأيُّ رسالة يحملها الأب الشهيد عن امرأته وأبنائه من هذا الضياع؟ وأيُّ رسالة يوصلها المنافقون لهؤلاء؟ وأيُّ رسالة يمكن أن يفهمها من ينوي الجهاد من أقرانهم؟ وأيُّ رسالة يمكن أن تفهموها أنتم؟

---

(١) الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣٦٢.

وأيُّ رسالة تفهمونها أبلغ وأصدق في تفسير قول الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر: ١٧].

مَن هؤلاء الأيتام؟ فهل في اليُتْم أصعب من يُتمنا؟ أم هناك أيتام أحق وأكرم من أيتام الشهداء؟ أم ثمة أيتام أحق بالوفاء من أبناء هؤلاء؟

اقرؤوا القرآن من جديد، ونحن واللهِ في أشد الحاجة إلى قرض إذا لم تنفقوا علينا، اقرؤوا من جديد قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

نعم، أقرضونا، وقد أَحَلْناكم في سداد القرض على من خزائنه ملأى ويده سحاء الليل والنهار.

نتوددكم تودد المحب الذي لا يقصد برسالته إقامة حجة مجردة، ولكن يريد ردَّ الصليبيين والمجوس، ونجاة شيخه وأخيه الذي يراه ـ في زحمة الحياة وهموم الدعوة ـ ما عاد يُقدِّر المعاني الكبرى في دين الله! بل ما عاد يحسن تطبيق علمه على الواقع، أليس ما نحن فيه هو صورة الولاء والبراء الكبرى، وصورة الإنفاق الكبرى، وصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكبرى، وصورة النُّصرة

الكبرى، وصورة التعاون على البر والتقوى الكبرى، وصورة الحضِّ الكبرى، وصورة العمل بالعلم الكبرى، وصورة التضحية الكبرى . . .؟

هذه راحلة الإسلام، وهذا ذروة سنامه، أفيُطعم من يمشي عند ذيلها ويُترك من سنا فوق سنامها؟

نتوددكم تودد من يستحلف أخاه وحبيبه في الله أن يتخذ من موته نجاة لأخيه، ولسان حاله يقول: احملني وأنا أشهد لك عند الله!

ابقَ ـ أنت ـ في مالك واتركني مع عدو الله في الميدان مُجَهَّزًا، ولك مثل عملي وأنت في مالك وبين أهلك منعَّمًا مكرَّمًا . . .

شيخي وأخي: أيُّ شيء يُحَرِّك فيك علمك بأنَّ الصدِّيق خرج بماله كله؟

وإلى أيِّ تصرُّف في مالك يدعوك خروج عمر بنصف ماله؟ وإلى أيِّ درجة في الإنفاق يبلغ بك قول كعب بن مالك رضي الله عنه: إنَّ من توبة الله عليَّ أن أنخلع من مالي؟

وإلى أيِّ عمل يدعوك بذخ أولياء الشيطان على جندهم

ومنافقيهم؟ وإلى متى تؤخر هذه القصص والمبادئ في ذاكرتك عن التطبيق؟

هل إلى الوقت الذي يصبح فيه المال إرثًا؟ أم حين يصبح الجهاد أثرًا وذكرى؟ أم إلى الوقت الذي تحصل فيه على وعدٍ من مليء بالخلف والتعويض اليقيني؟ أم حتى تبيع وتشتري، وتبيع وتشتري، فتعطي للجهاد فضول الفضول؟

أتريدون أن تعرفوا مَن المعذور في ترك الإنفاق على الجهاد؟

إنَّه ليس ذاك الذي إذا أنفق كسدت تجارته، ولا ذاك الذي إذا أنفق جميع أرباحه خاف أن يمس الإنفاق رأس ماله، ولا ذاك الذي يخاف رقابة العدو أو أعوانه وعيون أعوانه، ولا ذاك الذي أنفق مرة ومرة وألف مرة ثم قرر القطع ... إنَّ المعذور هو «من لا يجد» تحديدًا، المعذور في ترك الإنفاق يساوي المعذور عن الخروج ببدنه لانعدام قدرته البدنية، هؤلاء هم من جمعهم الله تعالى في قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ

أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩١-٩٣].

هنا يجب أن نفهم أمرًا آخر جيدًا، ألا وهو أنَّ التأخر في الإنفاق يومًا يعني تمكينَ العدو أكثر وأكثر، وخسراناً لحملان الرجال، وأضرارًا لا يعلم مداها إلا الله.

وإنَّ قومًا تأخروا في الإنفاق فكان تأخرهم دليل كذبهم ـ عافانا الله وإياكم ـ فردَّ الله صدقاتهم كما رد دعواهم الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٥٣-٥٦].

نتودد لكم، معلنين لكم وأنتم تعلمون جيدًا أننا والله لا نستحل من نفقاتكم فلسًا واحدًا لقتل مسلم أو الوقيعة به، أو إثراء خلاف بين المسلمين...

اللهم يا رب بلغ قلوب إخواني كلماتي فتُخرج ـ بها ـ ما فيها من حب الدنيا، وتطهرها من شحها، وتحررها من تخوفات الشيطان، وترخص في عينها الأموال والعقار والأراضي بل الأرض بما فيها ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾

[آل عمران: ١٤-١٥].

يا رب ثبتنا حتى نلقاك على العهد وما بدلنا تبديلاً.

يا رب ثبتنا حتى لو لم نجد إلا أن ندخل في العدو حاسرين، دخلنا مشتاقين وأنت سبحانك تُبشبش إلينا . . .

ثبتنا حتى لو لم نجد سلاحًا إلا الروح تخرج قطرة تسيل من أفواهنا، فنحوِّلها إلى بصقة نقذفها في وجه العدو، لبذلنا الروح بصقة في وجهه... قيمتها في سبيلك عندنا كقيمة البصقة عند أهل الدنيا . . .

يا رب ثبتنا حتى نُشْهد الخلائق جميعًا في الميدان

الحاشد، ندلُّ عدونا على مقتلنا فيقتلنا فتسيل دماؤنا على صدورنا فننشرها فرحًا على رؤوسنا ونخضب بدمانا وجوهنا، نفعلها لوجهك حين نقتل باسمك ونموت لتؤمن الحشود، ويسْلَم إخواننا مِن بعدنا، ويرفع لواء ديننا، حين نوصل جذره بأوردة قلوبنا ويحيا عزيزًا ونموت نحن، بل نحيا عندك.

فاللهم إنك تعلم أننا نحب ذلك فبلِّغنا ...

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

